القصص

أمير النوبة

بقلم الأديب حسين شوقى

عاد أمير النوبة الى (نباتا) بعد أن قضى سنوات طويلة فى مصر ، على زعم أنه يلتى الدروس بجامعة (عين شمس) العظيمة ، ولكن الواقع هو أنه قضاها فى منازلة وصيفات الاله « رع » الحسان ؛ وما كاد الأمير يرجع الى وطنه حتى شعر بحنين شديد الى مصر ، وطنه الثانى ، فتذكر فى حسرة شوارع منفيس الواسعة ، وحوانيتها الفخمة ، وباعاتها الرشيقات ، ومراقصها . .

أما هنا فى (نباتا) فكل شىء يضايقه : فقصر أبيه الملك لا يزيد شأناً على الأعشاش التى يقيمها بعض وجهاء المصريين — فى المصايف — على شاطىء البحر ، والنساء كلهن بدينات متزينات بالريش والودع ، دميمات المنظر مثل (سخمت) الاله المصرى الذى يلتهم المذنبين فى العالم الثانى . . أما أصدقاؤه من النوبيين فكلهم خشن الطباع ، يلتهمون الطعام بأيديهم فى وحشية وقذارة . . إنه يؤثر عليهم العزلة ليخلو الى خياله فيتذكر أصدقاءه المصريين المرحين فى (عين شمس) الذين قضى معهم أياما سعيدة فى قصورهم الشامخة على ضفاف النيل . ما أبهج تلك الليالى التى قضاها معهم فى احتساء « الجعة » اللذيذة المخصصة لقرابين الاله « رع » ، والتى كانوا يحصلون عليها خفية ! . أما النوبيون فكانوا لا يميلون اليه ، بل كانوا يسخرون من عاداته التى اكتسبها من مصر ، ويرمونه بالخنوثة . .

حقا ! ان آلام الأمير النفسية كانت شديدة ، خصوصا وهو لم ينس قط (تايا) الحسناء بنت معلمه الكاهن (منتو) ، كم ود أن تصحبه هذه الفتاة الى (نباتا) ، ولكن ماذا يعمل أمام رفض والدها الكاهن وهو رجل يحافظ على التقاليد . لم يرض أن تتزوج ابنته من أجنبى دنس فى نظر الدين . .

وبينما هو سابح فى هذه الاحلام ، يذكر هذه المناظر المصرية خلال الدخان المتصاعد من « غليونه » ، اذا بأبيه الملك يدخل عليه فجاه فيقول :

ولدى ! أتحب أن تعود الى مصر ؟

فأجاب الأمير وقد تهلل وجهه :

ما أشد سرورى بذلك يا أبت ! هذه غاية منائى

الملك — ولكنك ستعود هذه المرة طالبا ملكهم لا علمهم ! فستقود الجند الذين سيزحفون على مصر فى الغد ، لان الوقت مناسب لهذا الهجوم ، أما أنا فصحتى لا تسمح لى بالسفر ، انظر الى ساقى ، إن ورمهما يزداد كل يوم . . هذا بلا شك أثر لسحر تلك الجارية التى طردتها فى الاسبوع الماضى . آه من السحر ! كان يجب أن أدق عنقها بدلا من أن أطردها ، ومع ذلك فأنت تعرف مصر جيداً ، ولابد أنك مغتبط بهذه المهمة . .

قال الأمير (فى غضب) — كلا ياوالدى ! لا أريد أن أذهب الى مصر جلاداً . .

فصاح الملك متعجبا ماذا تقول ياولدى ؟ من علمك هذه الترهات ؟

إنى آمرك بذلك . أفهمت ؟

قال الأمير — إنى آسف ياوالدى إذ لا أستطيع أن أرافق جيشك فى هذه الغزوة !

فصاح به الملك — (فى غضب) — أنى آمرك حقا لقد أخطأت فى إرسالك إلى مصر لتتعلم ، إن القوم مهرة فى علم السحر ، فهم قد سحروك . .

الأمير — أجل ! انهم سحرونى بحضارتهم !

الملك — (يضحك بصوت عال) — حضارتهم ! أين هى ؟ أتسمى حضارة هذا « الغليون » الذى يكتم أنفاسى بدخانه ؟

الامير — ولكن يا أبت ما الفائدة التى نجنيها من هذه الحرب ؟ إن المصريين أقوياء وجيشهم مجهز بأحدث الاسلحة . .

الملك — ولكنهم منقسمون ، يحارب بعضهم بعضا ، انها فرصة ثمينة لغزوهم الآن ..

الامير — ولكن ألا تخشى غضب آلهتهم العظام ؟

الملك — (يضحك) — ليست آلهتهم الا ضفادع المستنقعات وقطط الحيطان .. (ثم قال فى جد) كفى الآن مزاحا ، اذهب! فارصد أهبتك للرحيل

الأمير — لن أذهب يا أبت !

الملك (محتداً) — بل ستذهب أيها الولد العاق !

غادر الملك الحجرة فشعر الأمير بعد أن هدأت ثورته بحزن عميق ، لأنه لا يستطيع بحال أن يحارب المصريين الذين تعلم فى ديارهم ، وتثقف بثقافتهم ، واتخذ من بينهم أصدقاء كثيرين .. انه لا يستطيع أن يتصور النيل مصبوغا بالدماء ، ورياضه وحقائله جرداء ، وقصوره تلتهمها النيران . كلا ! ثم إن المصريين لم يعتدوا من جانبهم على النوبة حتى يكون هناك مبرر لهذا الزحف ، كلا ! هذا أمر فظيع ! انه يؤثر عليه الموت ..

ألقى الأمير بنفسه على السرير وأخذ يبكى طويلا ، ثم نهض فتذكر قنينة السم التى أعطاها اياه معلمه الكاهن (منتو) عندما ذهب ليودعه يوم سفره ، كما تذكر قول الكاهن وتئذ :

« ولدى ! ان فى الحياة أوقاتا يفضل الموت فيها ، وأنتم معشر الملوك والأمراء معرضون لاخطار كثيرة كالاسر أو المنفى ، ثم إن هذا السم لا يحدث ألما وانما يشعر شاربه كأنه فى الفردوس .. »

قصد الأمير دون تردد زاوية من الحجرة حيث كانت حقيبته التى صحبته فى رحلاته الى مصر ، فنظر بعين ملؤها العطف الى البطاقات الكثيرة التى تحملها الحقيبة من الفنادق الكبيرة فى منفيس وطيبة وصا الحجر ، فأخرج منها قنينة السم ثم شربها جرعة واحدة وتطرح على السرير ..

وفى صباح اليوم التالى جاء خادمه لايقاظه من النوم كالعادة ، ولكنه امتنع هذه المرة عن تأدية هذا الواجب لأن وجه سيده كان يفيض بشاشة ، فلم يشأ ان يعكر عليه أحلامه اللذيذة ..

حقاً ! إن الكاهن (منتو) لم يكذب حين قال إن شارب سمه يحلم بالفردوس ، ولكن الواقع ان روح الامير كانت فعلا فى الفردوس ، لأن الآلهة أرادوا مكافأته على تضحيته واتخاذه مصر فردوسهم الثانى فى هذه الأرض ..

حسين شوقى

أسطورة جاهلية

أساف ونائلة

حدث السادن (تيم) من (جرهم) يروى قصة « أساف » و « نائلة » اللذين مسخا صنمين ، فعبدتهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة من بعدهما ، قال : كان (أساف بن يعلى) من أشراف « جرهم » ، ومن أشجع فرسانها ، وكان مليح الوجه ظريفا عظيم النفوذ بين العرب ، وكانت « جرهم » تهابه أكثر مما تحبه ، وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة ، وجمع إلى المال قرة العمالين ، شيد له صرحا فى اليمن كعش النسر ، ولم يسكنه إلا بعد أن أخذ بثأر أبيه المقتول ، ونحر على قبره ، واحتفر للغنائم من حوله ، حفراً ختمها بالحديد هذا الجبار الذى كان يتلهى بقتل عبيده فى أوقات الفراغ ، وقع أسير حب (نائلة بنت زيد) من « جرهم » ، وكانت من أجمل نساء العرب ، وأكثرهن ذكاء . تنشد الشعر ، وتترك النار مشبوبة حول بيوتها للضيفان ، وكان ربما خرج « أساف » للصيد والقنص ، فصادف جواري يستقين ، فينشدنه من أشعارها ما يطربه ، وما كان « أساف » ليأنف أن يقف للناس فى الاسواق وهو الزعيم القوى البأس لكى ينشدهم شعره فى نائلة ، فاشتهر عشق البطل لربة الجمال ، وتغنت به الركبان فى أرض اليمن وكان من عادة العرب ، التفريق بين العاشقين ، فكان طبيعيا أن يحرم العاشق لذة اللقاء ، وأن يذوق حرارة البعد ، ومرارة الفراق ، وأن تفكر المعشوقة فى خلها طول النهار ، وطرفا من الليل ، وأن يتحين العاشقان فرصة اللقاء ، ليرتشفا كأس الحب ، فلما أقبلت نائلة من اليمن تحج البيت ، كان أساف قد سبقها اليه ، وكانت العرب تعظم الكعبة ، وتبالغ فى حبها والتبرك بها ، وكانت تضع فى جوفها أصنامها المعبودة

والتقى أساف بنائلة حول ذلك البيت المقدس حاجين ، وما كان أشد اشتياق البطل لمعشوقته ، فطافا مرارا ، ثم دخلا الكعبة يتبركان بأصنامها ، فاتفق أن وجدا غفلة من الناس ، وخلوة فى البيت ،